



صلاح الدين الأيوبي (بطل حطين)



رسم: ماهر عبد القادر

تأليف: د/ علي راشد

جميع حقوق الطبع محفوظة

برقم إيداع 2013/7077

المجد للنشر والتوزيع 0106372799

كَانَ "نَجْمُ الدِّينِ أَيُّوبُ" وَآلِيَا عَلَى قَلْعَةٍ تَكْرِيتَ بِأَعْرَاقٍ، وَلَكِنَّهُ
طُرِدَ مِنْهَا، فَرَحَلَ عَنْهَا، وَفِي إِحْدَى لَيَالِي عَامِ ١١٣٨ م / ٥٣٢ هـ رُزِقَ
بِمَوْلُودٍ سَمَّاهُ "صَلَاحُ الدِّينِ"، وَعَاشَ "نَجْمُ الدِّينِ أَيُّوبُ" هُوَ وَأُسْرَتُهُ
فِي دِمَشْقَ.



وَأَصْبَحَ ضَابِطًا فِي الْجَيْشِ تَحْتَ قِيَادَةِ الْمَلِكِ الْعَادِلِ "نُور الدِّينِ
مَحْمُودُ زَنْكِي" مَلِكِ دِمَشْقَ، فَكَانَتْ طُفُولَةً وَشَبَابُ صَلَاحِ الدِّينِ
فِي "دِمَشْقَ" حَيْثُ قَضَى شَبَابَهُ فِي بِلَاطِ الْمَلِكِ الْعَادِلِ.



وَعَلَّمَهُ أَبُوهُ "نَجْمُ الدِّينِ" لُعْبَةَ "الصَّوْلَجَانِ" (وَهِيَ تُعْرَفُ الْآنَ
بِلُعْبَةِ الْبُولُو، حَيْثُ يَتَبَارَى فَارِسَانِ أَوْ أَكْثَرُ كُلٍّ عَلَى حِصَانِهِ، وَمَعَهُ
عَصَا طَوِيلَةٌ يُحَرِّكَانِ بِهَا كُرَةً صَغِيرَةً عَلَى الْأَرْضِ).



وَلَقَدْ لَقِيَ "نَجْمُ الدِّين" مَضْرَعَهُ عِنْدَمَا سَقَطَ مِنْ فَوْقِ حِصَانِهِ فِي
أَثْنَاءِ إِحْدَى مُبَارَيَاتِ لُغْبَةِ "الصَّوْلَجَانِ".
وَأَحَبُّ الْمَلِكِ الْعَادِلُ "نُورُ الدِّينِ" مُحَمَّدُ زَنْكِيَّ.



وَبَعْدَ عِدَّةٍ سَنَوَاتٍ أَمَرَ الْمَلِكُ الْعَادِلُ بِإِرْسَالِ جَيْشٍ إِلَى مِصْرَ لِلْقَضَاءِ
عَلَى اضْطِرَابَاتِ الْحُكْمِ فِيهِ ، تَحْتَ قِيَادَةِ "أَسَدِ الدِّينِ شِيرْكُوهِ" وَابْنِ
أَخِيهِ "صَلَاحِ الدِّينِ" .



فَقَضَى الْجَيْشُ عَلَى هَذِهِ الْأَضْطِرَابَاتِ كَمَا أَرْهَبَ حَمَلَةٌ مِنَ الْحَمَلَاتِ
الصَّالِبِيَّةِ الْمُتَتَالِيَةِ الَّتِي جَاءَتْ إِلَى دُمْيَاطَ ، فَرَجَعَتْ مِنْ حَيْثُ أَتَتْ ،
بَعْدَ عِدَّةٍ مَعَارِكٍ انْتَصَرَ فِيهَا "أَسَدُ الدِّينِ شِيرْكُوهُ" وَابْنُ أَخِيهِ "صَلَاحُ
الدِّينَ" ، وَأَصْبَحَ "أَسَدُ الدِّينِ شِيرْكُوهُ" عَامَ ١١٧٠ م وَزِيرًا لِلْخَلِيفَةِ
الْفَاطِمِيِّ "الْعَاضِدِ" ، وَسَاعَدَهُ فِي ذَلِكَ ابْنُ أَخِيهِ "صَلَاحُ الدِّينِ" .



وَفِي عَام ١١٧١ مَاتَ "أَسَدُ الدِّينِ شِيرْكُوهُ"، فَفَرَضَ "صَلَاحُ الدِّينِ
الْأَيُّوبِي" نَفْسَهُ وَزِيْرًا لِلْخَلِيفَةِ الْفَاطِمِي "الْعَاضِد"، وَمَا أَنْ مَاتَ هَذَا
الْخَلِيفَةُ حَتَّى انْتَهَتْ الدَّوْلَةُ الْفَاطِمِيَّةُ فِي مِصْرَ، وَحَكَمَهَا مِنْ بَعْدِهِ
"صَلَاحُ الدِّينِ الْأَيُّوبِي" الَّذِي حَدَثَ اقْتِصَادَ مِصْرَ، وَأَعَادَ تَنْظِيمَ
الْجَيْشِ وَسَيَطَرَ عَلَى الْبِلَادِ.

اتَّخَذَ صَلَاحُ الدِّينِ لِقَبِّ "سُلْطَانِ مِصْرَ"، وَمُؤَسَّسَ الْأُسْرَةِ الْأَيُّوبِيَّةِ،
وَامْتَدَّ حُكْمُهُ إِلَى الشَّامِ وَالْحِجَازِ وَالْيَمَنِ وَبَرْقَةَ وَالنُّوبَةَ.



وَرَغِمَ كُلُّ هَذَا الْمَلِكُ كَانَ صَلَاحُ الدِّينِ مُتَمَيِّزًا بِالْبَسَاطَةِ بَيْنَ مُلُوكِ
عَصْرِهِ، وَلَمْ يَكُنْ يُحِبُّ أَنْ يَسْكُنَ فِي الْقُصُورِ، وَكَانَ يَلْبَسُ مَلَابِسَ مَنْ
أَقْمَشَةُ عَادِيَّةً، وَكَانَ يَعْتَبِرُ نَفْسَهُ وَأُسْرَتَهُ خَزَنَةً لِلْمُسْلِمِينَ وَحُرَاسًا
لِأَمْوَالِهِمْ، وَكَانَ يُصَلِّيْ غَالِبًا فِي جَمَاعَةٍ، وَيَصُومُ كَثِيرًا مَعَ ضَعْفِ
بَنِيَّتِهِ، وَسَمَّى نَفْسَهُ "خَادِمَ الْحَرَمَيْنِ".

وَاتَّخَذَ "صَلَاحُ الدِّينِ" وَزِيرَهُ الشَّهِيرَ وَكَاتِبَهُ وَمُسْتَشَارَهُ الْقَاضِي
الْفَاضِلَ "عَبْدَ الرَّحِيمِ بْنِ عَلِيٍّ" الَّذِي قَالَ عَنْهُ "صَلَاحُ الدِّينِ": "لَمْ
أَفْتَحِ الْبِلَادَ بِسَيْفِي، وَإِنَّمَا بِرَأْيِ الْقَاضِي الْفَاضِلِ".



وَاقْتَرَبَتْ مَعْرَكَةُ "حَظِين" مِنْ وَقُوعِهَا، وَهِيَ مَعْرَكَةٌ فَاصِلَةٌ بَيْنَ
الصَّلِيبِيِّينَ، وَقُوَّاتِ صَلاَحِ الدِّينِ المُسْلِمَةِ، فَلَقَدْ اخْتَلَّتْ بَعْضُ الْمَنَاطِقِ
مِنَ الْبِلَادِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَعَلَى الْأَخْصِ "الْقُدُسُ"، مِنْ قَبْلِ الصَّلِيبِيِّينَ
وَاسْتَمَرَّ هَذَا الْاِخْتِلَالُ قُرَابَةَ تِسْعِينَ عَامًا.

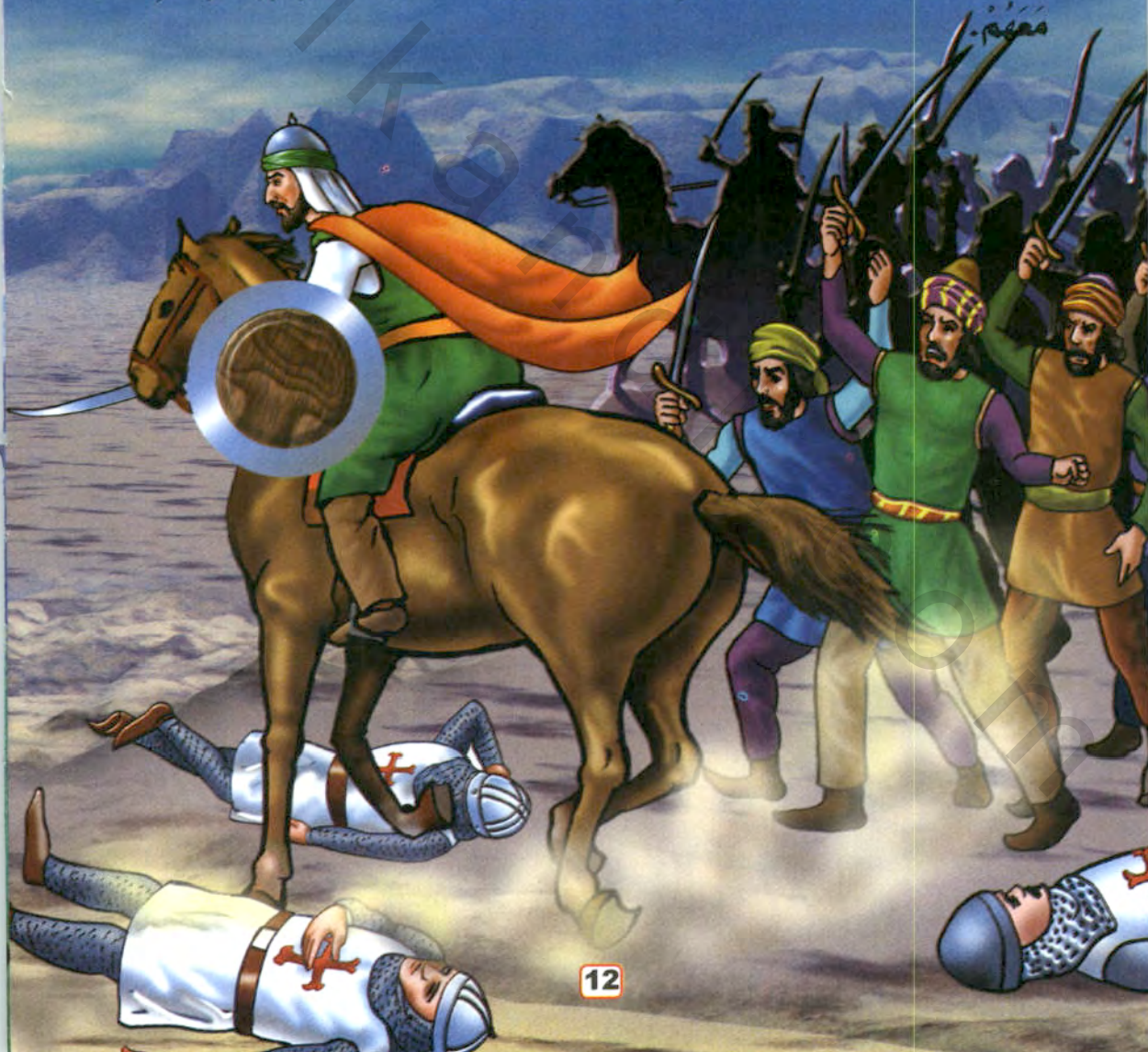


فَكَانَ هَذَا دَافِعًا لِتَحْرِيرِ الْبِلَادِ مِنْ هَذَا الْمُحْتَلِّ الْأَجْنَبِيِّ كَمَا كَانَتْ
الْغَارَةُ اللَّصُوصِيَّةُ الَّتِي شَنَّهَا أَحَدُ أُمَرَاءِ الْإِفْرَنْجِ وَيُدْعَى "رِينَالْدُ"
(أَرْنَاطُ) السَّبَبَ الْمُبَاشَرَ لِحُدُوثِ مَعْرَكَةِ حَظِّينَ، فَقَدْ اعْتَزَّضَ بِقُوَّاتِهِ
قَافِلَةً تِجَارِيَّةً بَيْنَ سُورِيَا وَمِصْرَ (رَغْمَ وُجُودِ مُعَاهَدَةٍ بَيْنَ الْأَطْرَافِ
لَا تَبِيحُ مِثْلَ هَذَا الْعَمَلِ).



وَفِي أَوَّلِ يُولْيُو عَامِ ١١٨٧ م اسْتَعَدَّ جَيْشُ الْمُسْلِمِينَ وَالَّذِي قُدِّرَ بِ ٢٥
أَلْفًا مِنَ الْمُقَاتِلِينَ بِقِيَادَةِ صَلاحِ الدِّينِ الْأَيُّوبِيِّ لِحَوْضِ الْمَعْرَكَةِ أَمَامَ
جَيْشِ الصَّلِيبِيِّينَ وَالَّذِي قُدِّرَ بِ ٧٠ أَلْفٍ مُقَاتِلٍ تَحْتَ قِيَادَةِ مُلُوكِ
الْفَرَنْجَةِ وَهُمْ: "جِي دِي لوزينيان، ريتشارد قَلْبُ الْأَسَدِ، رينالد
"أرناط".

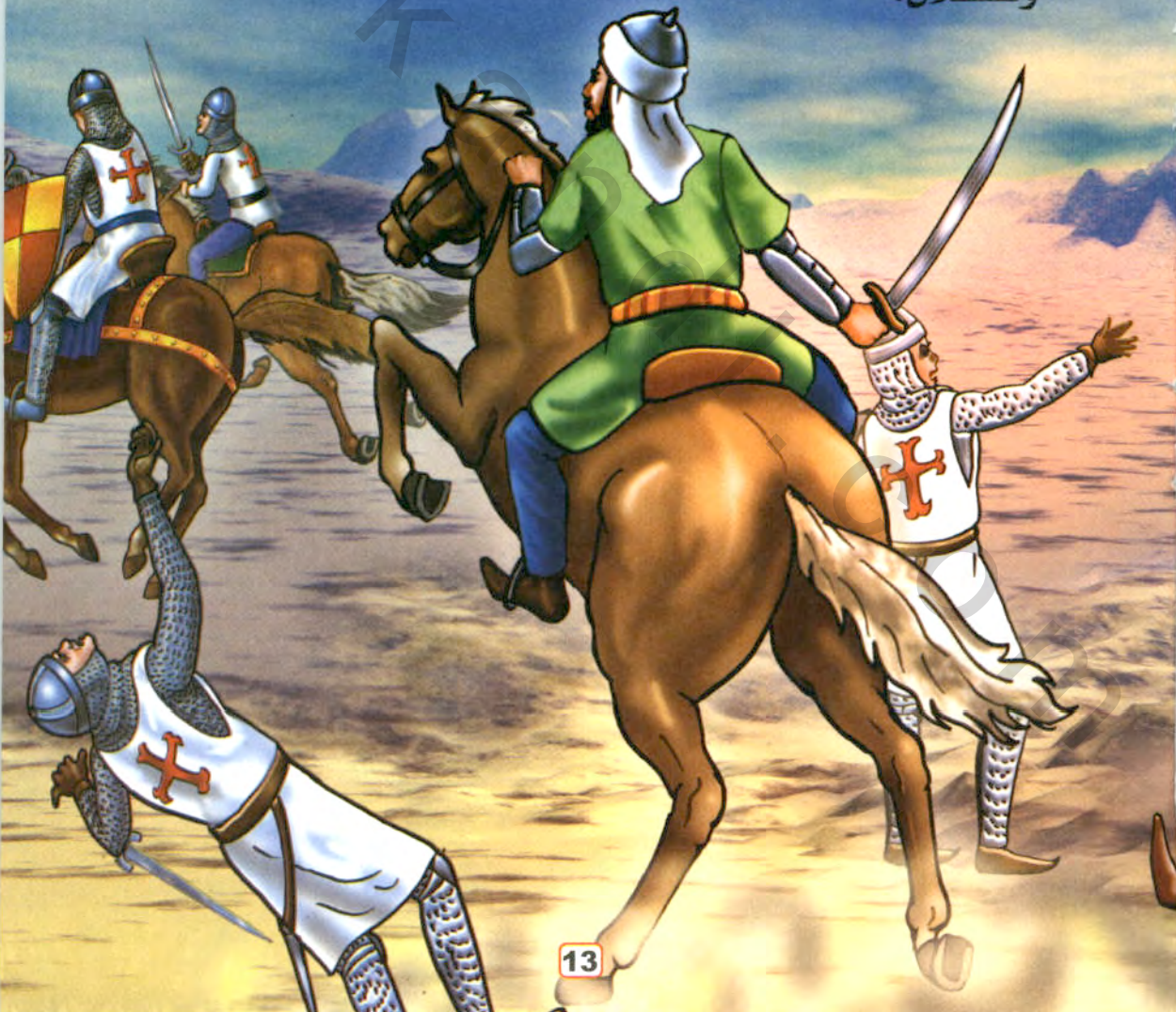
وَقَبْلَ بَدْءِ الْمَعْرَكَةِ أَمَرَ "صَلاحُ الدِّينِ" بَعْضَ جُنُودِهِ بِحَرْقِ الْأَعْشَابِ
وَالشَّجِيرَاتِ فِي سَاحَةِ الْمَعْرَكَةِ وَأَنْ يَسْتَوِلُوا عَلَى عُيُونِ الْمَاءِ عَمَلًا
عَلَى تَعْطِيشِ جَيْشِ الصَّلِيبِيِّينَ، وَاجْبَارِهِمْ عَلَى النَّزُولِ لِلإِسْتِبَاكِ
مَعَهُمْ.



وَقَامَتْ مَعْرَكَةٌ حَظِينٌ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ٤ يُولْيُو عَامَ ١١٨٧، فَأَهْلَكَتْ سَهَامَ
جَيْشِ الْمُسْلِمِينَ جُنُودَ الصَّلِيبِيِّينَ، ثُمَّ شَنَّ الْجَيْشُ هُجُومًا بِالسِّيُوفِ
وَالرَّمَاكِ، فَقَتَلُوا الْأَلْفَ مِنَ الْأَعْدَاءِ، كَمَا جَرَحَ وَأَسَرَ الْأَلْفَ،
وَأَسْتَسْلَمَ الْأَلُوفُ مِنْهُمْ،

وَلَمْ يَنْجُ مِنْهُمْ إِلَّا بَضْعُ مِائَاتٍ فَرُّوا إِلَى مَدِينَةِ "صُور" وَاحْتَمَوْا وَرَاءَ
أَسْوَارِهَا.

وَبَعْدَ الْمَعْرَكَةِ سُرِعَانَ مَا اخْتَلَّتْ قُوَّاتُ صَلَاحِ الدِّينِ، وَأَخِيهِ الْمَلِكِ
الْعَادِلِ الْمُدْنَ السَّاحِلِيَّةَ كُلَّهَا تَقْرِيْبًا: عَكَا، وَصَيْدَا، وَيَافَا، وَقِيَادِيَّةَ،
وَعَسْقلَانَ.



وَحَاصَرَتْ قُوَّاتُ الْمُسْلِمِينَ بِقِيَادَةِ النَّاصِرِ "صَلَّاحِ الدِّينِ" مَدِينَةَ
"الْقُدْسَ"، وَلَمْ يَكُنْ بِمَقْدُورِ الْقُوَّاتِ الصَّلِيبِيَّةِ الصَّغِيرَةِ أَنْ تَسْتَطِيعَ
أَنْ تَصُمِدَ لِجَيْشِ الْمُسْلِمِينَ الْمُنْتَصِرِ.



فَاسْتَسَلِمَتِ الْمَدِينَةُ بَعْدَ سِتَّةِ أَيَّامٍ مِنَ الْحَصَارِ وَفِي يَوْمٍ ٢ أَكْتُوبَرِ عَامٍ
١١٨٧ فَتُحِتِ الْأَبْوَابُ، وَخَفَقَتْ رَايَةُ السُّلْطَانِ النَّاصِرِ صَلَاحِ الدِّينِ
الْصَّفْرَاءُ فَوْقَ الْقُدْسِ، وَتَمَّتْ مُعَاهِدَةُ الصُّلْحِ بَيْنَ صَلَاحِ الدِّينِ قَائِدِ
قُوَاتِ الْمُسْلِمِينَ، وَرِيْتَشَارْدِ قَلْبِ الْأَسَدِ قَائِدِ الْقُوَاتِ الْإِنْجِلِيزِيَّةِ.



وَأَنْصَرَفَ "صَلَاحُ الدِّين" مِنَ الْقُدْسِ بَعْدَمَا أَمَرَ فِيهَا بِنَاءَ الْمَدَارِسِ
وَالْمُسْتَشْفَيَاتِ، وَقَامَ بِجَوْلَةٍ فِي بِلَادِ الشَّامِ الَّتِي كَانَتْ تَحْتَ سَيِّطَرَتِهِ
لِيُطْمَئِنُّ عَلَى أَحْوَالِهَا، وَعَلَى مَسِيرَةِ الْأَصْلَاحَاتِ، ثُمَّ عَادَ إِلَى دِمَشْقَ
وَمَكَثَ فِيهَا فُتْرَةً طَلِبًا لِلرَّاحَةِ، وَعَازِمًا عَلَى الْمَسِيرِ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى مِصْرَ
لِيَسْتَطْلِعَ أَحْوَالَهَا، إِلَّا أَنَّ الْمَرَضَ اشْتَدَّ عَلَيْهِ، وَمَا لَبِثَ أَنْ تُوُفِيَ فِي
دِمَشْقَ وَدُفِنَ بِهَا عَامَ ١١٩٣ م عَنْ عُمُرٍ نَاهِزٍ خَمْسَةَ وَخَمْسِينَ عَامًا.

